**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مفاهيم الشعرية العربية القديمة:**

تأتي دراسة مفاهيم الشعرية في سياق النقد الأدبيوالبحث في خصائص اللغة وجمالياتها، واستقصاء مزايا النصوص وأسباب التفاضل، وهو مجال لصيق بالبلاغة، فيحسن أن نعرف بالشعرية ثم نحاول أن نتلمس لها مواطنها في النقد العربي القديم.

**المطلب الأول: مفهوم الشعرية:**

الشعرية في اللغة مصدر صناعي من الشعر يتضمن معنى العلم والفطنة، تقول شعرت به إذا علمت به وفطنت له، وأشعرته الأمر أعلمته به، والمصطلح في أصله الأول عند أرسطو

Poetics

يعني العالم، فترجم إلى الشاعر لأنه بمعنى العالم، وهذا في كتابه (فن الشعر).

والشعرية في الاصطلاح متشعبة المعاني ومختلفة المضامين لذلك أكتفي بإيراد بعض المفاهيم عند بعض الباحثين، فبعضهم يذهب إلى أنها ما يميز نصا أدبيا في إطار القراءة والتحليل والنقد، فتمثل خصائص مائزة وصفات تفضيلية، ولكن قد تختلف النظرة إلى هذه السمات من قارئ إلى آخر ومن ناقد إلى غيره، ولذا ذهب إلى تحديد أكثر للاقتراب من الموضوعية بحيث يرى أن الشعرية تتحدد بالقوانين التي تحكم اختيارات الأديب وتسم إنتاجه في تميز وفرادة.

واختار الباحث كمال أبو ديب أنها الفجوة أو مسافة التوتر بين اللغة الأصيلة واللغة المبتكرة، لكن يكاد يتحقق الإجماع من النقاد والباحثين على أن الشعرية تعني في المقام الأهم قوانين الإبداع الأدبي أو الفني، يقول جاسم خلف: (وقد تمحورت اشتغالاتها منذ القديم وإلى الآن في استقصاء القوانين التي استطاع المبدع التحكم بوساطتها في إنتاج نصه والسيطرة على إبراز هويته الجمالية، ومنحه الفرادة الأدبية)، ويقول رامان سلون عن مفهوم الشعرية: هي (الدراسة المنهجية التي تقوم على علم اللغة للأنظمة التي تنطوي عليها النصوص الأدبية، وهدفها هو دراسة الأدبية أو اكتشاف الأنساق الكامنة التي توجه القارئ إلى العملية التي يتفهم بها أدبية هذه النصوص).

**المطلب الثاني: المصطلح منشأ وتطورا:**

أول من أطلق المصطلح هو أرسطو(322ق.م) في كتابه (فن الشعر)، والشاعر في اليونانية معناه العالم، وهذا يجلي سر الترجمة العربية، ولكن هناك من يشكك في هذه النسبة، فقد نفاها حسين جمعة شأنها شأن المصطلحات التي يراد ربطها دوما بالأصول اليونانية واللاتينية، وقد عرب مصطلح

Poetics

لأرسطو بلفظ بويطيقا، ثم ترجم إلى فن الشعر وهو العنوان الذي حمله مؤلف أرسطو، ثم أخيرا وضع مصطلح الشعرية، وفي تاريخ التطور أحصى الباحثون ما يزيد عن ثلاثين مصطلحا كلها تلتقي أو تتقاطع بمستويات مختلفة مع مصطلح الشعرية ومنها: الإنشائية، الشاعرية، علم الأدب، الأدبية، صناعة الشعر، فن الشعر، نظرية الشعر.

إن لتطور المراحل التاريخية للنقد أثرا بالغا في المفاهيم والمصطلحات ولا شك في الأثر السوسيو ثقافي الناشئ عن العوامل المختلفة للحياة الإنسانية، فلا غرو إذن أن تتغير المصطلحات من بيئة ثقافية معينة إلى بيئة أخرى ذات عوامل متباينة.

**المطلب الرابع: مفاهيم الشعرية العربية القديمة:**

اهتم النقاد العرب بالشعرية رصدا لمزايا الكلام الحسن وطلبا لأسباب البلاغة العالية والتفوق الأدبي والإبداعي، وهو أمر طبيعي في أمة تمجد صناعة الشعر وتتنافس في تجويد الكلام وتعده من نفيس ما تملك.

**الشعرية عند ابن سلام الجمحي(232ه):**

يقول ابن سلام رحمه الله: (للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما يثقفه اللسان)، تثقفه تتعلمه وتتقنه.

**الشعرية عند الفارابي(260ه):**

ورد عن الفارابي وهو يتحدث عن شروط العبارة وذلك في تعيين حدودها وتحقيق لوازمها، حيث قال: (والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها فيبتدئ حين ذلك أن تحدث الخطبية أولا ثم الشعرية).

**الشعرية عند أبي العباس ثعلب(291ه):**

وذلك في كتابه قواعد الشعر، وقد استهله بقوله: (قواعد الشعر أربع: أمر ونهي وخبر واستخبار)، ثم أنشأ يفصل في ذلك على طريقته.

**الشعرية عند ابن طباطبا(322ه):**

وضع ابن طباطبا كتابه عيار الشعر ليجعله ديوانا للخصائص والسمات التي تميز الشعر وترفعه إلى مقامات الجودة، وقد بدأه بتعريف الشعر، ثم عطف على أدوات الشعر: ( فمنها التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في الشعر، والتصرفُ في معانيه في كل فن قالته العرب فيه، وسلوكُ مناهجها في صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها والسنن المستعملة منها).

**الشعرية عند قدامة بن جعفر(337ه):**

يعد قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر من أبرز الذين أسسوا للشعرية العربية في موضوعها ومضامينها ومناهجها، وقد بدأ بتقديم تعريف دقيق للشعر فقال: (إنه قول موزون مقفى يدل على معنى)، وعدّ الشعر صناعة كسائر الصناعات له طرفان: (أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط)، ثم كتب: (فإذ قد صح أن هذا على ما قلناه فلنذكر الصفات التي إذا اجتمعت في الشعر كان غاية في الجودة، وهو الغرض الذي تنتحيه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات والغاية الأخرى المضادّة لهذه الغاية التي هي نهاية الرداءة).

**الشعرية عند ابن سينا(428ه):**

وذهب ابن سينا يفسر عوامل تشكل الشعرية حيث يقول: (إن السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان: أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة، والسبب الثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا، ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان فمالت إليها الأنفس وأوجدتها، فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية وجعلت تنمو يسيرا تابعة للطباع، وأكثر تولدها من المطبوعين الذين يرتجلون الشعر طبعا، وانبعثت الشعرية منهم بحسب غريزة كل واحد منهم، وقد يحثه في خاصته وبحسب خلقه وعادته).

**الشعرية عند ابن رشيق(463ه):**

وضع كتب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، وهو الذي قال فيه ابن خلدون رحمه الله: (الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يكتب فيه أحد قبله ولا بعده مثله)، وجاء كتاب ابن رشيق رحمه الله مفعما بأبواب متنوعة في صميم الشعرية، مبتدئا بتقديم حد الشعر فقال: (الشعر يقوم بعد النية بأربعة أشياء، وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر).

**الشعرية عند الجرجاني(471ه):**

اعتبر الجرجاني رحمه الله سر الشعرية في النظم، والنظم أساسه ترتيب المعاني في النفس، قال: (واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب تلك).

**المطلب الرابع: موضوع الشعرية:**

لما كانت الشعرية تعنى بالنص الأدبي عبر مراحله المختلفة من ميلاده إلى تشكله إلى تداوله وتحليله ونقده اتسع موضوع الشعرية فهو يتناول البنى الداخلية وآليات بنائها وعلاقاتها كالبنى الصوتية والبنى الصرفية والنحوية والإيقاعية، ويمتد الموضوع ليشمل الأجناس الأدبية المختلفة، فمن شعرية القصيدة إلى شعرية القصة إلى شعرية المسرحية فشعرية الأشياء..

**المبحث الثاني: مفهوم الشعر:**

**المطلب الأول: تعريف الشعر:**

عرفه قدامة بن جعفر تعريفا دقيقا فقال: (إنه قول موزون مقفى يدل على معنى).

وقوله موزون يخرج غير الموزون، لأن القول يشتمل على الموزون وغير الموزون.

**المطلب الثاني: ماهية الشعر:**

يشكل ماهية الشعر عناصره التي يبنى منها ويقوم صرحه عليها وهي:

**العاطفة**: وهي الإحساس الذي يغمر نفس المرء ودواخله وجوانحه فيشعر بالفرح أو الحزن أو الخوف أو الأمن أو الخجل أو الغضب

**الفكرة**: وهي مدار الكلام والمقصد الأسمى منه، وهي ثمرة التصور والتخيل والفطنة والفهم ونتاج العقل.

**الخيال:**

**الأسلوب**:

**المطلب الثالث: الجودة والرداءة في الشعر:**

أطال قدامة بن جعفر في ذكر عناصر الجودة ثم عناصر الرداءة في كتابه نقد الشعر، قال: (وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها، ليكون ما يوجد من الشعر قد اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها، وخلا من الخلال المذمومة بأسرها، يسمى شعراً في غاية الجودة، وما يوجد بضد هذا الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسم بحسب قربه من الجيد أو من الرديء، أو وقوفه في الوسط الذي يقال لما كان فيه: صالح أو متوسط، أو لا جيد ولا رديء)، ثم استطرد يعدد هذه الأسباب وتلك الأوصاف، وركز فيما هو شائع وكثير في الأغراض وهي المديح والهجاء والمراثي والوصف والنسيب، فذكر نعت المدح ونعت الهجاء ونعت الألفاظ ونعت المعاني وعرض للوزن والقافية، وهكذا الشأن نفسه بالنسبة للعيوب التي تصنف الشعر في جهة الرداءة فقد استقصاها من عيوب اللفظ إلى عيوب المعنى في نواح مختلفة وفي الأغراض المألوفة، فكتب عن عيوب الهجاء وعيوب الوصف والتناقض وفساد التفسير وغير ذلك.

إن كثيرا من اللغويين والنقاد والأدباء اعتنوا بمواصفات الجودة وآداب الشعر الحسن وسمات الإبداع، وأفردوا لذلك مصنفات خاصة، فمن هؤلاء ابن رشيق القيرواني الذي صنف كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، فكتب في حد الشعر وبنيته وفي اللفظ والمعنى، وفي أبواب البلاغة والأسلوب، وأتى على مسائل دقيقة في كل باب مما له علاقة بالشعر كالأوزان والقوافي، وقد سبق إلى ذلك النحوي اللغوي أحمد بن يحيى الشيباني المعروف بثعلب(291ه) في كتابه قواعد الشعر، وابن طباطبا(322ه) في عيار الشعر وغيرهما.

**المبحث الثالث: وظيفة الشعر:**

المطلب الأول: قيمة رسالة الشعر:

للشعر رسالة في حياة الشاعر وحياة مجتمعه وأمته والإنسانية جمعاء، لأن وظيفته متعددة الاتجاهات والمقامات والمحالّ، وله دور فعال في التواصل والإقناع، وفي البناء الاجتماعي، في السلم والحرب وفي الصحة والمرض وفي الرخاء والبلاء، في الأحوال المختلفة، فلا نلتفت إلى فترات وهنت فيه هذه الرسالة فالسبب ليس من الشعر ذاته، كما جري لأفلاطون الذي لم يجعل للشعراء مكانا في المدينة الفاضلة لأنه يرى أنهم يملأون عقول الناس أوهاما وخرافات.

وقد أورد أبو هلال العسكري(395ه) في كتاب الصناعتين كلاما في جوانب من وظيفة الشعر في تلك العصور فقال: (ومن أفضل فضائل الشعر أن ألفاظ اللغة إنما يؤخذ جزلها وفصيحها وفحلها وغريبها من الشعر)، وقال: (ومن ذلك أن الشواهد تنزع من الشعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم شاهد)، وقال: (وكذلك لا نعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع آدابها، فإذا كان كذلك فحاجة الكاتب والخطيب وكل متأدب بلغة العرب أو ناظر في علومها إليه ماسة، وفاقته إلى روايته شديدة).

إن ما جاء من ذم للشعراء في القرآن في قول الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألا ترى أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون)(سورة الشعراء224-226) لا يشمل جميع الشعراء، وإنما يعني بعضهم، فقد قال الله تعالى بعد ذلك: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (سورة الشعراء227)، إذن (استثناء الله في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر إنما هو المعدول عن جهة الصواب إلى الخطأ، والمصروف عن جهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم).

**المطلب الثاني: الوظيفة الأصيلة للشعر:**

وهي الوظيفة التي لا ترتبط بموضوع معين، بل هي أثر من آثار الشعر الأصيلة فيه، ويمكن أن تصاغ بهذه العناوين:

-وظيفة الإبداع:

-وظيفة الإقناع:

-وظيفة الإمتاع:

فالإبداع هو الأصل الأصيل للشعر، وهو وظيفته الأساسية والسامية، فلكل شعر ميلاد يحتفي به يخصه وتلحقه نسبته وهو وجود فريد له قيمته.

والإقناع له جوانب نفسية وروحية واجتماعية كثيرة لطيفة ودقيقة لا تتأتّى لغير الشعر من شحن العاطفة وخلق التوتر أو الرضى أو الانفعال الذي يصنع الإقناع الفعلي.

والإمتاع لما امتاز به الشعر بألحانه وأوزانه ولطائفه، وما ينطوي عليه من إيقاعات تهز النفس وتحرك المشاعر وترقق الطباع وتخضع لها العقول مسلمة قانعة في متعة ورضى.

**المطلب الثالث: الوظيفة الموضوعية للشعر:**

وهذه الوظيفة يمكن إدراجها ضمن العناوين التالية:

الوظيفة الفكرية: من خلال ما يفرزه الشعر من فكر وفلسفة ومادة أدبية تصنع الحدث العلمي والنهضة الفكرية التي ينشدها الإنسان ويرنو إليها المجتمع.

الوظيفة الاجتماعية: بما يحييه الشعر من وشائج القربى وعلاقات التعارف والتعاطف، فيجمع القلوب ويؤاخي بين الأشقاء، ويذيب العداوات ليساهم في بناء العلاقات الاجتماعية ضمن مبادئ العدل والإحسان والمحبة والتعاون والتضامن.

الوظيفة الأخلاقية: الشعر من أحسن الألسنة دعوة إلى الأخلاق بما يحمله من الحكمة والموعظة وبما له من سلطان الإقناع الخفي الذكي، فيساهم في تقويم السلوك وتهذيب الطباع وتزكية الأخلاق، ويعمل على تقبيح السفاسف والانحرافات ويحارب الآفات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا).

الوظيفة الدينية: تجلى ذلك في العصر الأول حين ساهم في تفسير كلام الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي كل زمان له أن يكون لسان دعوة إلى هذا الدين يمجده ويقدسه وينافح عنه.

الوظيفة التاريخية: إن الشعر في سمة من سماته وثيقة تاريخية ناطقة بوقائع حية يكتبها الشاعر في صفحات ترويها الأجيال، لها قيمة ثقافية وعلمية نفيسة، بما تحفظه من الذاكرة.

**المبحث الرابع: عمود الشعر:**

**المطلب الأول: تعريف المصطلح ونشأته:**

العمود في اللغة: عمود البيت هو الخشبة القائمة في وسط الخباء، وبها يقوم البيت، والجمع أعمدة وعمد، وعمود الأمر: قوامه وأساسه الذي لا يستقيم إلاّ به، والعميد أو المعمود: السيد المعتمد عليه.

وفي الاصطلاح: عمود الشعر هو الطريقة التي سنها العرب في نظم الشعر والقواعد التي التزمها الشعراء الفحول وصارت حاكمة على من بعدهم، وهو قوام الشعر وملاكه وأساسه الذي يحكم به عليه أو له، وهو مجموع الخصائص الفنية التي نظم وفقها الشعراء أشعارهم وسار عليها من بعدهم فأصبحت قواعد يوزن بها الشعر وينسج على منوالها، فالجيد من التزمها واحترمها والرديء من خالفها فيعد من العيوب التي يجب أن تتقى.

يقول محمد عبد المنعم خفاجي: (هو كل التقاليد الفنية التي التزمها القصاد في قصائدهم من الأفكار والمعاني والأخيلة والأوزان والقوافي والألفاظ والأساليب والصور وغيرها فهذه التقاليد جميعها هي عمود الشعر).

وأول من أطلق مصطلح عمود الشعر هو الآمدي في الموازنة بين الطائيين، وقد استفاد ممن سبقه في بعض المصطلحات المشابهة أو القريبة، فقد وردت ألفاظ مذهب الشعر وطريقة الشعر ومذاهب العرب وسنن العرب وغيرها، ووقف على قول الجاحظ(255ه): (قال أبوداود بن جرير: رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الإعراب)، وفي الشعر قال الجاحظ: (وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذاهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا).

واستعمل الآمدي المصطلح بلفظ صريح فقال: (أن البحتري كان أعرابي الشعر مطبوعا وعلى مذاهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف)، وأورد على لسان البحتري جوابه لما سئل عن نفسه وعن أبي تمام قال: (كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم بعمود الشعر منه)، ويرى النقاد أن البحتري لم يصرح بذلك وإنما هو تعبير عن كلامه بلفظ الآمدي، إذ لم يعثروا للبحتري مثله في غير هذا الموضع، وقال الآمدي: (وحصل للبحتري أنه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة مع ما نجده كثيرا في من الاستعارة والتجنيس والمطابقة).

**المطلب الثاني: عناصر عمود الشعر وخصائصه:**

يقوم عمود الشعر إذا توفرت عناصره واستقامت خصائصه فيحوز حينئذ شروط القبول ويرتقي إلى الجودة التي يطلبها الأدباء، وذكر الآمدي ثلاثة عناصر لعمود الشعر:

-الأسلوب

-المعاني

-الأخيلة والصور

فالأسلوب يشترط له الألفاظ السهلة والمألوفة متجنبا الحوشية الغريبة، لأن الشعر يؤثر السهولة والوضوح، وينفر من التعقيد والغموض، والمعاني يؤثر فيها السهولة والبساطة والوضوح (وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورديء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه إلى طول تأمل).

وأما الأخيلة فيؤثر فيها أن تكون قريبة وتبتعد عن الصنعة غير المألوفة، يقول الآمدي: (وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتّي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في موضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف وتلك الطريقة).

إن ما يتصل باللفظ والمعنى وغيرهما من عناصر عمود الشعر هو جملة الشروط التي يؤكد عليها النقاد، يقول الجرجاني: (وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلّم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت أمثاله وشوارد أبياته).

فقد اشتمل النص على صحة المعنى وسلامة اللفظ والبديهة وصواب الوصف والأمثال والشاردات في شعر الشاعر، وهي الخصائص التي تميزه، فتحصيل عمود الشعر من أجل تحصيل الجيد من القريض لا بد فيه من العناية بالألفاظ والمعاني والتراكيب، والبعد عن الأفكار المعقدة والغموض، واجتناب التكلف، والاهتمام بالصنعة في حدود المألوف لأن المبالغة تفسدها، والعناية بالمجازات والتشبيهات مع الوحدة الموضوعية.

.....يتبع.....